بسم الله الرحمن الرحيم

سلامٌ عليك

بدر الذوادي .. "مؤرخ البحرين"

د. عبد العزيز بن أحمد بن عبدالله البداح

الأربعاء الموافق: ١١ /١٢/ ١٤٤٢هـ

فُجعت في يوم الخميس الموافق ١٤٤٢/١١/١٤ بخبر وفاة الأخ العزيز والصديق الوفيّ الشيخ: بدر بن شاهين الذوادي .

فرأيت لزامًا عليّ أن أكتب عما وقفت عليه من سيرته قيامًا بمعنى الوفاء، وحفظ المعروف، وحسن العهد.

عرفت الشيخ بدر بن شاهين الذوادي سنة (١٤٢٣) عندما زرت البحرين لأجل بحثي في الماجستير: "المدارس الأجنبية في البحرين .. دراسة ميدانية تحليلية".

وجدتُ فيه حسن الخلق، وطيب المعشر، وسخاء النفس، وصفاء القلب، والرغبة في بذل المعروف، تكررت زياراتي له خلال تلك السنة، وفي كل مرّة يزداد معي كرمًا وبرًا ولطفًا .

مجالسته لا تُملّ وحديثه لا يُسأم، كما قال الشاعر في مثله:

لا يُسعِدُ الناسَ في قولٍ وفي عملٍ

إلا امرؤٌ طيّب الأخلاقِ والشيمِ

وجدتُ فيه محبّة العلم والبحث والمذاكرة، وفي كل مرّة أزوره يدخل عليّ محمّلاً بكتبٍ وصحفٍ ووثائقَ نادرة، بل لا أكون مبالغًا إذا قلت إن بعضها لا توجد عند غيره.

يتميّز الشيخ "بدر الذوادي" بالوقوف على المعلومات التاريخية وتمحيصها، والنظر فيها وتدقيقها، وكنت أجد عنده ما لا أجده في الكتب والمراجع، سألته عن أندية الروتاري والليونز في البحرين فأفادني، وعن دقائق الحياة الاجتماعية في البحرين فدلّني، وعن بدايات التنصير فعرّفني، وعن نواة التغريب الاجتماعي فأوقفني عليه، وعن الشخصيات الدينية المؤثّرة فنثر معلوماته بين يديّ، وعن الأديان والفرق فأرشدني إلى تفصيلات ذلك.

وفي مرّات أخذني في جولاتٍ ميدانيةٍ على معبد "اليهود"، ومتعبّد "البهرة"، وكنائس "النصارى" المنزوية، إلى جانب زيارة أحياءٍ قديمةٍ فيها معلوماتٌ تاريخيةٌ مهمةٌ.

ولذا قام بحثي في كثيرٍ من فصوله على ما جادَ به فكره، وسحّتْ يده، وفاضت تدويناته الثريّة.

حرٌّ إذا جئتَه يومًا لتسألَهُ

أعطاكَ ما ملكتْ كفّاه واعتذرا

يُخفي صنائعه واللهُ يُظهرها

إنّ الجميلَ إذا أخفيته ظَهرا

استأذنته أن أدوّن اسمه في فهرس المقابلات لبحثي الماجستير: "المدارس الأجنبية" من باب نسبة العلم لأهله، فكان لا يرى لنفسه مقامًا وأنه لا يستحق ذلك، وهذا في زمن صار من لا يستحق يستولي على الحقوق ويُزاحم عليها .

عاودت زياراتي له عند بحثي في مرحلة الدكتوراه: "حركة التشيع في الخليج العربي.. دراسة ميدانية تحليلية"، فوجدته غنيًا بكثيرٍ من المعلومات والمصادر والمراجع مما شكّل إضافةً في بحثي، ولم يبخل عليّ بمعلومةٍ، أو يظنّ بمصدرٍ، أو يشحّ بعطاء .

ولم يقف الأمر عند حدود مساعدتي بالمعلومات والمراجع والمصادر، بل كان يشجعني ويدفعني إلى بذل المزيد من الجهد، وأرى السرور في وجهه إذا توصّلتُ إلى معلومةٍ نادرةٍ أو استفدتُ علمًا جديدًا.

وساقني بحثي للدكتوراه : "حركة التصوف في الخليج العربي" إلى الرجوع إليه فيما يخص الحركة في البحرين فأمدني بمعلوماتٍ مهمةٍ حول التصوف في البحرين نشأةً ومظاهرَ وشخصياتٍ ومصادرَ ومراجع.

وفي كل مرةٍ أزوره يزداد صلةً وإكراما، وبراً وإحسانا.. يصون العهد، ويحفظ الودّ، ولا ينسى الفضل.

اشدُدْ يديك بمن بَلَوتَ وفاءَه

إنّ الوفاءَ من الرجالِ عزيزُ

وقال آخر:

للّه درّ النائباتِ فإنّها

صَدّأُ اللّئامِ وَصَيْقَلُ الأحرارِ

خالطت الشيخ "بدر" وجالسته فكان كالحلم الجميل، والطيف اللطيف لا يجرح ولا يؤذي، ولا يَشقّ ولا يُعاتب، وهذا شأن كبار النفوس.

لا يُزري بالشيخ "بدر" ألا يُعرف، ولا يضره ألا يكون مشهورًا؛ لأن الشأن في بلوغ المعالي ونيل المكارم.

إنْ يُحتَقر صِغَرًا فرُبَّ مُفَخَّمٍ

يبدو ضئيلَ الشَخصِ للنّظارِ

إنّ الكواكبَ في علوّ مكانها

لَتُرى صِغاراً وهيَ غيرُ صِغارِ

إن ذهاب الشيخ "بدر" وغيره من أهل العلم والفضل تُعرّفنا بحقيقة الموت والحياة، فالحياة الحقيقية حياة القلوب والأرواح، فالناس منهم أحياء ينتظرون الموت، ومنهم أموات لم يذوقوا طعم الحياة.

ليسَ منْ ماتَ فاستراحَ بميتٍ

إنّما الميتُ ميّتُ الأحياءِ

إنْ ذَهَبَ الشيخ "بدر" فذكراه باقيةٌ، وعمله ممتدٌ، وصنائعه محفوظةٌ، وأياديه خالدةٌ، كما قال الشاعر:

قد ماتَ قومٌ وما ماتتْ مكارمهم

وعاشَ قومٌ وهمْ في النّاسِ أمواتُ

الشيخ "بدر الذوادي" كغيره من الباحثين في عالمنا العربي والإسلامي لم يجدوا التصدير الذي يُمكّن من الاستفادة منهم على أنهم طاقاتٌ كامنةٌ، تملك قدراتٍ في البحث، ولديها مخزون ثريٌّ من المعلومات، وهو كغيره من الباحثين تموت مشاريعهم بموتهم إلا إن قيّض الله لها من يبعثها .

قد لا يشعر بموته ويُحسّ بفقده كثيرون، لكن حسبه أن يفتقده محرابه، ويبكيه قلمه، ويأسف عليه كرّاسه.. هذه الجمادات ألينُ أحيانًا من قلوبنا التي طغت عليها المادية، وغلبها الجمود، وقسّاها غياب معاني الوفاء.

الشخصيات الجميلة، لا نشعر بها إلا إذا فقدناها، ولذا حقيقٌ بصاحبي أن يتمثّل قول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدّ جدهمُ

وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

رحمك الله يا "بدر"، والسلام عليك يوم مت، والسلام عليك يوم تبعث حيا..